عمارة القصور الأميرية بإفريقية في العصر الوسيط
قصر الصحن نموذجا

د. أسماء عمارة•

الملخص:

تجدر الإشارة أنّه بالإضافة إلى المنشآت الدينية، تميّزت افريقية بأنواع أخرى من المنشآت ذات الطابع المدني بالأساس، وأبرز هذه المنشآت القصور، وذلك رغم أنّ ما بقي منها يعتبر قليلا جدّا بالمقارنة مع فروع العمارة الإسلامية الأخرى كالمساجد والرباطات والأسوار وغيرها. وهذا بسبب كون هذه القصور غالبا ما تكون عرضة للتهديم والتغيير وذلك تبعا لتبدّل الحكّام وتغيّر الأهواء والإتجاهات والإحتياجات.

ويعتبر قصر الصحن في رقادة معلما فريدا من نوعه لكّل من يريد أن يبحث في عمارة القصور الأميرية بإفريقية في العصر الوسيط. ولا تتمثل فرادة هذا المعلم في حجمه وشكله فحسب، بل كذلك فيما يوفرّه من معطيات أثريّة حول عمارة القصور الأميرية التي لا نزال نجهل الكثير عنها.

إنّ دراسة قصر الصحن تُبيّن تأثره بعمارة القصور في المشرق، ويمكن أن نلاحظ ذلك في التخطيط وفي العديد من المكوّنات المعمارية الأخرى كالسور الخارجي والمدخل وقاعة العرش والأواوين، والدور وغيرها، هذا إلى جانب الزخرفة. كما استفاد في نفس الوقت من الإرث المحلّي القديم البوني والبيزنطيي، وهو ما أكسبه خصوصية مميّزة جعلته يصبح مصدرا مُلهما في عمارة القصور الأميرية في افريقية والمغرب الإسلامي عامة.

الكلمات الدالة:

افريقية، القصور الأميرية، رقادة، قصر الصحن، العمارة، المدخل المنكسر، قاعة العرش البازيليكية.

•أستاذة مساعدة بقسم التاريخ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بسوسة، عضو في مخبر العالم العربي الإسلامي الوسيط. amara.asma@yahoo.fr

المنارة للاستشارات
www.

مقدمة:

نشأت عمارة القصور الإسلامية الأولى بالمشرق الإسلامي، وكانت مُتلازمة مع حركة الفتوحات العربية الإسلامية وتأسيس ما يُعرف بمدن الأمصار، جمع "مصر". وقد شهدت تطورا نتيجة التحوّل في طبيعة الخلافة من جهة، وظهور ما يسمّى بالمدن الملكية أو الخليفية من جهة ثانية. لقد كان المسجد في البداية أبرز المنشآت المعمارية الإسلامية لكّن إلى جانبه كان يقام دائما القصر أو ما يعرف في المصادر بدار الإمارة، والتي هي سكنى الحاكم الملاصق للمسجد الجامع من جهة القبلة، وهو ما لاحظناه في جلّ مدن الأمصار التي أقيمت في بلاد المشرق والمغرب الإسلامي على حدّ السواء: البصرة، الكوفة، الفسطاط، والقيروان.

ثمّ إنّ نفس هذا الترتيب وقع اتباعه في المدن القديمة التي تمّ تحويلها لتصبح مدن إسلامية: مثل مدينتي دمشق وحلب. فقد أنشأ معاوية له في دمشق دارا إلى جانب الجامع أطلق عليها اسم الخضراء، وكانت أولا من الطين، ثم نقضها وأعاد بناءها من الحجارة وجعل فيها قبّة خضراء، فعرفت الدار بكاملها بها،[١] ولم يكن الجامع حتّى ذلك الوقت يمثل إلاّ ركنا من الكنيسة التي اقتسمها المسلمون مع النصارى، وهو ما يوحي لنا بتغيير في استراتيجية المسلمين، وبداية تركيزهم على القصر على حساب الجامع، وذلك في ارتباط بطبيعة الخلافة التي بدأت تتحول إلى ملك.

وفي هذا الإطار أقيمت الكثير من القصور بعيدا عن العاصمة دمشق لفسح المجال للخليفة كي يعيش في منتجع بعيدا عن الرعية، ساعيا وراء اللّذة والمتعة والصيد، ومن أبرز هذه القصور نذكر في سوريا قصر الحير الشرقي والغربي، وقصر البخراء، وفي فلسطين قصر خربة المفجر، وقصر خربة المينياء، وفي الأردن قصير عمرة، وقصر المشتى، وقصر الخرّانة، وقصر الحلابات وغيرها.[٢]

إنّ هذه القصور التي أنشأت في العصر الأموي وفق تخطيط وبرنامج يكاد يكون موحدّا، تعدّ هامة ولا بدّ من العودة إليها عند دراسة موضوع القصور الأميرية في أيّ مجال وفي أيّ فترة زمنية، فقد مثّلت النواة الأولى لعمارة القصور الإسلامية التي ستنتشر فيما بعد في بلاد المشرق والمغرب الاسلامي على حدّ السواء، ذلك أنّ تأثيرها لم ينته مع انتهاء حكم الأمويين ولم يقف عند حدود البلاد السورية فحسب، بل

---

(١) عبد القادر ريحاوي، "قصور الحكام في دمشق"، ص ٣٥؛

Northedge, 2000, p. 39.

(2) Otto- Dorn, 1967, p. 40- 61 ; Grabar, 1987, p. 197- 236;

غازي بيشة، القصور الأموية في الأردن، ص١- ٢٨، فوزي محفوظ، عمارة الخلفاء، ص١٣٣-٢٠٩.

المنارة للاستشارات
www.

امتد ليشمل في مرحلة أولى دار الإمارة في الكوفة وقصر الأخيضر في العراق، ثمّ استمرّ في كامل أنحاء العالم الإسلامي تقريبا مع بعض التحويرات.[٣]

لقد ابتدأ التحوّل العمراني والمعماري في عمارة القصور، منذ أن أنشأ المعتصم قصوره الملكية الفخمة في سامراء مثل قصري الجوسق الخاقاني، ودار العامة، وقصر الجصّ أو المحوصلات، ثمّ ما لبثت أن تكاثرت هذه القصور في عهد من أتى بعده من الخلفاء مثل قصري الجعفري وبلكوارا في عهد الخليفة المتوكل وقصر المعشوق في عهد الخليفة المتوكل، لكي تؤكد الصفة الملكية لهذه المدينة، التي أسّست طابعا فنيّا خاصا بها وأصبحت مصدر إشعاع.[٤]

إنّ قصور سامراء بل وكذلك الرقة توفرّ بحكم كبرها وتعدّد منشآتها، كمّا هائلا من المعلومات حول عمارة القصور الأميرية في العصر الوسيط، فقد لعبت بحكم طابعها السلطوي، دورا كبيرا في التأثير في عمارة القصور الإسلامية مشرقا ومغربا. وهذا ما سنحاول إبرازه من خلال دراستنا لنموذج من عمارة القصور الأميرية بإفريقية، بالنظر في مكوّناته وأصوله المعمارية، ومدى تواصله مع عمارة القصور الأميرية في المشرق، وتأثّره بالعمارة المحليّة القديمة، وأيّهما كان أكثر تأثيرا عليه العمارة المحليّة أم المشرقية؟

١- لماذا قصر الصحن بالذات؟

لقد أقام حكّام افريقية خلال العصر الوسيط كمّا هائلا من القصور الأميرية، بل كان لهم صيت في إنشاء مدن أميرية بأسرها العبّاسية، رقادة، المهدية وصبرة المنصورية، ولقد أشارت المصادر إلى تعدّد القصور بها. فقد ذكر اليعقوبي ما تميّزت به العبّاسية من أسوار كانت تحيط بمجموعة من القصور: "قصور قد بني عليها عدّة حيطان"،[٥] وأشار البكري إلى أنّ من ابتنى رقادة واتخذها دارا إبراهيم الثاني وقد "بنى بها قصورا عجيبة".[٦] ولم تختلف المهدية عنهما فقد شيّدت بها كذلك القصور الأميرية، ذكر التجاني "وأخذ عبيد الله في بناء قصوره فبنى قصره الكبير المعروف به الذي كانت به طبقان الذهب، وبنى ابنه ابو القاسم بإزائه قصره المعروف به أيضا وبينهما فسحة".[٧] ووصف المقريزي في كتابه المقفّى الكبير قصور المهدية قائلا:"وبنى قصورا عالية وجعل فيها من المصانع للماء ما لا يحصى وختم عليها وأمر بحفظها. فلّما فرغ من بناء السور والقصور والدور، قال: اليوم

---

[٣] فوزي محفوظ، عمارة الخلفاء، ص ٢٠٠- ٢٠١؛
Grabar O., A., 1965, p. ٨٥٤.

[4] Northedge, 2001, p. 29- 67.

[٥] اليعقوبي، كتاب البلدان، ص ١٠٥.

[٦] البكري، كتاب المسالك والممالك ٢، ص ٦٧٩.

[٧] التّجاني، رحلة التّجاني، ص ٣٢٣.

المنارة للاستشارات
www.

آمنت على الفاطميات، يعني بناته".[٨] ولمّا انتقل المنصور من المهدية إلى مدينة صبرة بنى سورها وجعل لها أربعة أبواب، ثم ابتنى فيها بعد ذلك القصور الشاهقات لنفسه وللمقربين منه.[٩]

المهم أنّ المصادر ذكرت لنا أسماء قصور أميرية عديدة في افريقية تعود إلى فترات مختلفة من العصر الوسيط، فمن عصر الولاّة ذكرت لنا دار الإمارة بالقيروان، ومن العهد الأغلبي ذكرت لنا القصر الأبيض والرصافة في العبّاسية،[١٠] وقصر الفتح، وقصر الصحن، وقصر البحر، وقصر بغداد، وقصر المختار، وقصر العروس، في رقادة،[١١] ومن العهد الفاطمي ذكرت لنا في المهدية قصر "عبيد الله كبير سري المباني بابه غربي وقصر ابنه القاسم بإزائه بابه شرقي بينهما فسحة كبيرة".[١٢] وفي صبرة المنصورية، قصر الإيوان بناه المعز لإبنه، ومجلس الكافور، وحجرة التاج، ومجلس الريحان وحجرة الفضّة، وقصر الخلافة والخورنق وقصور أخرى كثيرة منتشرة في ثناياها.[١٣]

إنّ ما نلاحظه هو أنّ أغلب أسماء القصور الأميرية التي ذكرتها لنا المصادر بإفريقية لا سيما في العهد الأغلبي، هي ذات أصول مشرقية، وهي مستوحاة من أسماء قصور بغداد (بغداد/ الرصافة/ الفردوس) وسامراء (المختار/ العروس). كما حملت بعض المنشآت الفاطمية أسماء عبّاسيّة مثل التاج لكن بصفة محتشمة جدّا، وأخرى عربية مثل الخورنق.

وما نلاحظه أيضا هو كثافة عمارة القصور وتطور عددها، لكّن الملفت للإنتباه هو أنّ المصادر اكتفت فقط بالإشارة إلى أسمائها، وفي بعض الأحيان تحديد موضعها أو اتجاه أبوابها دون تقديم أيّ وصف لها، أضف إلى ذلك أنّ ما وصلنا منها يعدّ قليلا، ويمكن إرجاع ذلك إلى كون هذه القصور تكون دائما عرضة للهدم والتغيير والتبديل تبعا لتغيّر الحكام وتبدّل الأهواء والإحتياجات والأذواق، فعندما انتقل ابراهيم بن الاغلب مثلا إلى مدينة القصر يذكر البكري أنّه "خرّب دار الإمارة التي كانت بالقيروان بقلبي الجامع منذ فتحت".[١٤] أضف إلى ذلك الخراب الذي تتعرض له القصور عند انتقال السلطة من مقرّ إلى آخر، وأثناء المعارك مثال قصر البحر الذي تهدّم في معركة ابي يزيد، يذكر الداعي ادريس أنّ البربر أطلقوا فيه النار

---

[٨] المقريزي، كتاب المقفّى الكبير ٤، ص ٥٦٤.
[٩] ابن حمّاد، أخبار ملوك بني عبيد، ص ٦١؛ التجاني، رحلة التجاني، ص ٣٢٨.
[١٠] البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٤٢؛ البكري، كتاب المسالك والممالك ٢، ص ٦٨٠.
[١١] ابن الأبّار، كتاب الحُلّة السِّيراء، ص ١٧٦؛ ابن عذاري، البيان المُغرب ١، ص ١١٧.
[١٢] البكري، كتاب المسالك والممالك ٢، ص ٦٨٣.
[١٣] ابن حمّاد، أخبار ملوك بني عبيد، ص ٦١.
[١٤] البكري، كتاب المسالك والممالك ٢، ص ٦٨٠.

المنارة للاستشارات
www.

فاحترق كلّ ما هو خشبي فيه وتكلّس الرخام وانهدم القصر.[١٥] هذا دون أن نغفل المعطيات الطبيعية، مثال الفيضانات التي تعرّضت لها رقادة سنة ٣٠٨ هـ/ ٩٢٠ م والتي خرّبت مساكنها وهدّمت دورها وعجّلت بانتقال عبيد الله المهدي إلى المهدية ولم تكتمل عمارتها بعد.[١٦] أضف إلى ذلك التغييرات والإضافات التي تتعرض لها عمارة القصور بمرور الزمن والتي تجعل دراستها في بعض الأحيان أمرا عسيرا، مثال قصر الخليفة المهدي الذي لم يبق له أيّ أثر واضح.

وبناء على ذلك فلم يتم التعرف إلى حدّ اليوم على دار الإمارة في القيروان، والتي تحولت إلى مخزن في عهد ابن ناجي،[١٧] وهو ما أكّدته الحفريات الأثرية التي أجراها إبراهيم شبوح بين (١٩٦٩-١٩٧٤)، على مقربة من الجدار الجنوبي الشرقي للجامع الكبير، وعلى مسافة قدّرت بـ١١٤٧م٢، وقد نشر نتائجها مؤخرا الباحثين طه الخشين وسندس قراقب وذلك في مناسبتيين،[١٨] مؤكّدين أنّ الأسبار لم تكشف عن دار الإمارة وإنّما عن ثلاثة دكاكين قد وضعت الواحد تلوى الآخر، ورتّبت بطريقة موازية لجدار القبلة وهي ترجع إلى العهد الاغلبي. وإجمالا فإنّ سبعة قرون من التوطين في مجال دار الإمارة قد أفرزت بقايا معالم تعود زمنيا إلى فترة تتراوح بين القرن التاسع والرابع عشر ميلادي وهي موزّعة على النحو التالي: دكاكين، هياكل حضارية ومخازن حبوب، وأنّه إلى حدّ هذه المرحلة من البحث لا يمكننا الحديث عن دار الإمارة.[١٩] ونفس الشيء لم يقع التعرّف على أيّ قصر من قصور العبّاسية عدا البركة الكبرى التي ورد ذكرها في النصوص والتي تحتل الموضع الذي يأخذ على الخرائط اسم هنشير البركة.[٢٠]

أمّا في رقادة فلم يقع الكشف إلاّ على آثار ما اصطلح على تسميته بقصر الصحن، وذلك إثر الحفريات التي قام بها المعهد القومي للآثار والفنون بداية من ١٩٦٢، تحت إشراف المرحوم محمد الشابي،[٢١] إلى جانب بقايا أرضية ثلاث غرف تمكّن الأثري الفرنسي ج. مارسي من تحديدها وهي تقع وراء الحائط الشمالي لفسقية البحر، ومبلّطة بالفسيفساء، والتي يرجّح الأستاذ فوزي محفوظ أن تكون بيزنطية وقع إعادة استعمالها.[٢٢]

---

[١٥] الداعي ادريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، ص ٢٨٣.

[١٦] التّجاني، رحلة التّجاني، ص ٣٢٣؛ فوزي محفوظ، عمارة الخلفاء، ص ٢٩٠.

[١٧] ابن ناجي، معالم الإيمان ١، ص ١٦٦.

[18] Gragueb Chatti; Khechine 4, 2017, p.121- 124.

[19] Gragueb Chatti; Khechine, 2017, p. 206- 207.

[٢٠] فوزي محفوظ، عمارة الخلفاء، ص ٢٨٦.

[٢١] محمد الشابي، "تقرير مختصر حول الحفريات الجارية برقادة"، ص ٣٨٩- ٣٩١.

[22] Marçais, 1995 ; فوزي محفوظ، عمارة الخلفاء، ص ٢٨٨.

المنارة للاستشارات
www.

كذلك لم تكشف الحفريات التي قام بها المعهد الوطني للتراث في المهدية في سنة ١٩٥٢ تحت إشراف سليمان مصطفى زبيس، إلاّ عن جزء فقط من آثار قصر القائم: عدّة قاعات غير مبلّطة، عدا قاعة واحدة محلاّة بأرضية فسيفسائية قدّرت أبعادها بـ٦٠ م٢،[٢٣] أمّا باقي المنشآت التي تمّ الكشف عنها، فهي تعود إلى فترات مختلفة، وهو ما أكّدته الحفريات الأخيرة التي أشرف عليها عدنان الوحيشي (١٩٩٩-٢٠٠٠)، والتي ثبت من خلالها أنّ المدخل الشمالي المتقدم، الّذي تمّ الكشف عنه في بداية الخمسينات، لا يعود إلى فترة التأسيس، وإنّما هو توسعة متأخرة عرفها القصر، ويمكن تأريخها بفترة الحكم الزيري للمهدية (٤٤٩-٥٤٣ هـ/ ١٠٥٧- ١١٤٨م).[٢٤]

ونفس الشيء بالنسبة لمدينة صبرة المنصورية، لم تكشف الحفريات التي تمّت في بدايات الخمسينات من القرن الماضي، والتي أشرف عليها أيضا سليمان مصطفى زبيس ثمّ تراس Terrasse إلاّ عن جناح قصر فاطمي فقط، ولا يزال السؤال مطروحا حول إن كان يمثل قصر الخليفة أم لا؟ فحسب كلّ من س. م زبيس وتراس فقد ذهبا إلى إمكانية اعتباره قصر الخليفة، أمّا بالنسبة لكلّ من ب. كريسي ومراد الرماح فقد استبعدا فرضية أن يكون قصر الخليفة وذلك لسببين اثنين: أولا لأنّه يقع على مشارف سور المدينة من الجهة الجنوبية الشرقية، في حين أنّ جلّ مصادر العصر الوسيط تضعه في وسطها على غرار مدينة السلام، أضف إلى ذلك أنّ قاعة العرش التي تمّ الكشف عنها والتي قدّرت مقاييسها بـ (١١،٧٠/ ٤،٦٣ م)، لا تكفي لإستقبال عدد مهمّ من الزائرين، حتى لو أخذنا بعين الاعتبار خصوصية المراسم الفاطمية، لكن مع التأكيد في نفس الوقت على إنتمائه إلى العهد الفاطمي الأول باعتبار أنّه قد أقيم على أرض بكر.[٢٥]

وعلى هذا الأساس وفي ظلّ عدم توفرّ المعطيات الأثرية حول دار الإمارة في القيروان، - والتي ترقى كما هو معلوم إلى عهد الولاّة، والتي نعتقد بأنّها كانت مهابة محصّنة، شأنها في ذلك شأن دار الإمارة في الكوفة لاسيما بعد أن كشفت الحفريات الأثرية عن المستوى الأموي، والذي ثبت من خلاله مدى الشبه بينها وبين القصور الأموية من جهة، وبينها وبين قصر الأخيضر في العراق من جهة أخرى،[٢٦] ولا يمكن أن تختلف دار الإمارة في القيروان عنهم _ فإنّ قصر الصحن يعدّ اليوم أقدم قصر أميري في افريقية وبلاد المغرب عامة، وهو ما يضفي عليه أهميّة قصوى ويفسّر اختيارنا له.

(23) Zbiss, 1956, p. 81- 84.
(24) Louhichi, 2004, p. 146- 152.
(25) Cressier P ; Rammah M., 2006, p. 618- 619.
(26) Grabar, 1987, p.235.

المنارة للاستشارات
www.

٢- عمارة قصر الصحن

يقع القصر في موقع رقادة على بعد حوالي ٩ كم جنوب القيروان،[٢٧] وتاريخ القصر غير واضح وغير معروف، رغم كونه من أهمّ القصور الأميرية في إفريقية، ومن أكثرها وضوحا، باعتبار أهمية المكتشفات التي أفرزتها الحفريات التي أجراها بالمعلم المرحوم الشابي، رغم أنّ التنقيب لم يستكمل فيه.

وقد بُني هذا القصر في عهد إبراهيم الثاني (٢٦١-٢٨٩هـ/٨٧٥- ٩٠٢ م)، الذي تنسب إليه المصادر جميع قصور رقادة، عدى قصر العروس الذي ينسب إلى زيادة الله الثالث (٢٩٠- ٢٩٦ هـ/ ٩٠٣-٩٠٩ م) [٢٨]، وقد بيّنت المصادر أنّه استعمل في العصر الفاطمي وحتى انتقال الفاطميين من رقادة وتأسيسهم مدينة المهدية.[٢٩]

وهذه التسمية أطلقها محمد الشابي على القصر،[٣٠] مستندا في ذلك إلى نص ابن عذاري، والذي يوحي بقرب قصر الصحن من فسقية البحر، وفعلا فالزاوية الشمالية الشرقية لهذا القصر تبعد بعض الشيء عن الزاوية الجنوبية الغربية لفسقية البحر، ومن ثمّة فليس من المستبعد أن يكون هو ذاته قصر الصحن المذكور في النصوص.

من خلال أعمال التنقيب أمكن رسم المخطط العام للقصر (شكل١ و٢)، وخاصة الجدران الخارجية والتي بيّنت أنّه ذو شكل مستطيل مقاييسه ١٠٤ مترا على ١٠٢ مترا،[٣١] وقد دعّم السور الخارجي بأبراج ركنية لها شكل ربع الدائرة وأبراج نصف دائرية في بقيّة الجدران (لوحة ١). ويتكوّن القصر من وحدتين متلاصقتين يعزلهما جدار، وتربطهما سقيفة على شكل ممّر ضيق ومنعطف يقع في الطرف الشمالي للجدار المشترك بين الوحدتين. ولم ينجز تخطيط المبنيين بشكل متشابه متناظر، ففي الناحية الشرقية يوجد الجزء المخصّص للشؤون الرسمية (الإستقبال)، أمّا الجزء الشرقي من المعلم فهو عبارة عن مجموعة من الدور المنتظمة حول ساحات صغرى.

ورغم أنّ مخطط القصر المكتشف يبرز في شكل كتلة معمارية تتألف من وحدتين متلاصقتين، فإنّ الحفريات قد بيّنت أنّ تاريخ بناء المعلم قد مرّ بثلاث مراحل من البناء أو التطور (شكل ٣)

---

[27] Marçais, 1995.

[٢٨] ابن الأبّار، كتاب الحُلّة السِّيراء، ص ١٧٦.

[٢٩] ابن عذاري، البيان المُغرب ١، ص ١٥٨؛ ابن حمّاد، أخبار ملوك بني عبيد، ص ٣٩؛ ابن الأبّار، كتاب الحُلّة السِّيراء، ص ١٧٢.

[٣٠] ابن عذاري، البيان المُغرب ١، ص ١٦٤؛ محمد الشابي، "تقرير مختصر حول الحفريات الجارية برقادة"، ص ٣٩٠.

[٣١] محمد الشابي، "تقرير مختصر حول الحفريات الجارية برقادة"، ص ٣٨٧- ٣٩٠؛ فوزي محفوظ، عمارة الخلفاء، ص ٢٨٨.

المنارة للاستشارات
www.

- المرحلة الأولى من حياة القصر أو القصر الصغير:

يأخذ القصر شكلا مربعا، طول ضلعه ٥٣م،[٣٢] وهو محاط بجدار خارجي ضخم تدعمه أكتاف دائرية في الأركان ونصف دائرية في بقية الجدران. وقد أقيمت البوابة الوحيدة في الواجهة القبلية، وهي محفوفة ببرجين يمثلان ربع دائرة(لوحة ٢). وهذه البوابة أنجزت على الطراز المعروف في بعض القصور الأموية مثل قصر الخرانة، قصر جبل أسيس، وفي المدخل المتقدم لقصر خربة المفجر، كما نجده في قصر الأخيضر في العراق،[٣٣] وفي البوابة الشمالية لمدينة الرافقة،[٣٤] وفي المدخل الجنوبي للقصر "ج"، في الرقة.[٣٥]

وتفضي البوابة إلى دهليز يقودنا في اتجاه اليسار إلى سقيفة منعطفة تفضي بدورها عن طريق سقيفة ثانية إلى الصحن. أمّا إلى اليمين، فإنّ الدهليز ينتهي بحنية على شكل محراب وأمام المحراب ماجل للماء لا تزال آثاره باقية (لوحة ٣).

وتجدر الإشارة إلى أنّ المدخل المنكسر الذي كان يطلق عليه المؤرخون العرب القدماء لفظ "الباشورة"، يعدّ من أهمّ العناصر التي يحتوي عليها هذا القصر، بينما لم ينتشر عنصر الباشورة في القصور الأموية ولا في القصور العبّاسية، إلاّ في منازل المتوكليّة،[٣٦] وفي ما ورد ذكره لدى الخطيب البغدادي بخصوص وصف أبواب بغداد مدينة السلام، وهو ما أكّده كرزول مشيرا كذلك إلى إنتشاره في الرقة،[٣٧] كما تمّ العثور كذلك على هذا المدخل المنكسر في حفائر الفسطاط في البيت الطولوني الثاني، وفي الدور والبيوت بمدينة الفسطاط.[٣٨]

وبناء على ذلك فإنّ وجود هذا المدخل المنكسر في هذا القصر له أهميّة قصوى من حيث أنّه يعدّ النموذج الأقدم إن لم نقل الأول على مستوى عمارة القصور الإسلامية، لكن هذا لا يعني عدم العثور عليه من قبل، ذلك أنّ هذا النمط من المدخل المعكوف أو المنكسر هو الذي اشتهر به البيت البوني، كما تبنته العمارة العسكرية،[٣٩] وقد أشار ل. قولفان إلى شيوعه في عدد من القلاع البيزنطية في شمال افريقيا مثل قصر بِلزمة وعين تونجا، مشيرا في نفس الوقت إلى استخدام الأغالبة لأحد هذه القلاع ألا وهي قصر بِلزمة، وإلى عدم تردّدهم في إعادة استغلال

---

(٣٢) محمد الشابي، "تقرير مختصر حول الحفريات الجارية برقادة"، ص ٣٩٠.

(33) Lézine, 1971, p. 91- 92.

(34) Hagen ; Al- Khalaf ; Meinecke ; Mismahl, 2004, p. 5- 7.

(35) Saliby, 2004, p. 106 ;

أسماء عمارة، البلاط العبّاسيّ، ص ١١٥.

(36) Northedge, 2005, p. 220- 221, fig. 98.

(٣٧) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام ١، ص ٧٤؛

Creswell, 1989, p. 237- 238 ; p. 246- 247.

(٣٨) فريد شافعي، العمارة العربية في مصر الإسلامية عصر الولاّة، ص ٤٣٥.

(٣٩) محمد حسين فنطر، الحرف والصورة، ١٥٨.

المنارة للاستشارات
www.

القلاع البيزنطية بصفة عامة كلّما أتيحت لهم فرصة ذلك،[٤٠] وبالتالي فإن صحّ ذلك فلا نستبعد أن تكون هذه الأمثلة هي التي أوحت لمهندس إبراهيم الثاني بهذا النمط من المداخل، ولا يمكن اعتباره من استنباط المهندس الأغلبي ومن عهد إبراهيم الثاني بالذات مثلما ذهب إلى ذلك محمد الشابي، حتى وإن أشار كرزول إلى عدم انتشاره في عهد جستينيان وفي شمال افريقيا وفي الإمبراطورية البيزنطية بصفه عامة.[٤١] مع العلم أنّه لم يقع تبنيه في عمارة الرباطات.

ويفضي المدخل المنكسر إلى ساحة مركزية عارية تتوزع حولها أروقة، تسبق مجموعة من الغرف المختلفة من حيث الحجم والشكل، وتتميّز من ضمن الغرف قاعة العرش، مقاييسها ١٢،٥٥م /١٢،٠١ م،[٤٢] لها شكل بازيليكي، تتألف من ثلاث بلاطات طولية أوسعها البلاطة الوسطى، مفتوحة على الساحة وتنتهي في مؤخرتها بحنية صغيرة غائرة، وعلى جانبيها قاعتين جانبيتين (لوحة ٤) . وعموما هذه القاعة لها شكل بازيليكي يمكن أن يقارن بقاعات العرش في القصور الأموية: قصر مدينة عنجر، قصر المشتى، قصر خربة المينياء،[٤٣] وفي العراق أيضا لا بدّ أن نشير إلى معلم آخر له قاعة عرش شبيهة بهذه وهي دار الإمارة في الكوفة، والتي تحتوي على قاعة عرش بازيليكية على شكل إيوان.[٤٤] وهذا الشكل هو ذو طابع مراسمي بالأساس.

وبهذا الشكل يكون القصر في هذه المرحلة قد ألّف بين تيّارين هما التيار الفنّي البيزنطي المحلّي من ناحية والتيّار المشرقي الأموي من ناحية أخرى.

- المرحلة الثانية من حياة القصر أو القصر الثاني (الشكل ٣)

تؤكد الحفريات الأثرية، أنّ كامل القسم الشمالي من القصر الأول وقع هدمه مثلما تشهد على ذلك الآثار الخاصة بأسس السور الشمالي وأسس الجدران المهدومة لقاعة العرش والقاعات المجاورة، ويظهر أنّ البنائين لم يشيّدوا فوقها أسوارا جديدة، وإنّما قاموا بإضافة صحن ثان تقرب أبعاده من أبعاد الصحن الأول ٥٠ مترا/ ٥٤ مترا.[٤٥] أي أنّهم أضافوا إلى الصحن الأول صحن ثان. فهل يكون هذا سبب تسميته بقصر الصحن.؟ لعلّ الأدلة الأثرية تؤيد هذا الإحتمال.

---

(40) Golvin, 1958, p. 236- 237.

(٤١) محمد الشابي، "رقادة "، ص ٨٣ .

Creswell, 1989, p. 238

(٤٢) المقاييس أخذناها بأنفسنا.

(43) Lézine, 1971, p. 9٢.

(44) Grabar, 1987, p.235.

(٤٥) محمد الشابي، "تقرير مختصر حول الحفريات الجارية برقادة"، ص ٣٩٠.

المنارة للاستشارات
www.

لكن الواضح هو أنّ الأغالبة أدمجوا الجزء القديم أي القصر الأول في الإضافة، وهو ما جعل المعلم يشكّل وحدة متكاملة، لم يتم حتى الآن التعرف على تاريخ بنائها، لكّنها تؤرخ لمرحلة جديدة من حياة المعلم.

وقد تبيّن من المعاينة الأثرية أنّهم قد نقلوا مخطط القصر الأول لكن مع بعض التحويرات، وعلى سبيل المثال فقد حافظوا على الصحن المكشوف كما أنّهم نقلوا قاعة العرش، إلاّ أنها جاءت أكثر عمقا واتساعا هذه المرة، وحنيتها جاءت غائرة وأكثر اتساعا (لوحة ٥)،[٤٦] ويبدو أنّها كانت مغطاة بقبة. وتنتظم أغلب الغرف والبيوتات في هذه المرحلة إنطلاقا من قاعة العرش، ويحف بها من جهتيها الشرقية والغربية، إيوان أوسط وغرفتين تكتنفانه من اليمين واليسار.

وهذا التصميم المعماري لقاعات العرش المتمثل في قبّة مركزية تتوسط مجموعة أواوين، هو من التأثيرات العبّاسيّة التي نرى لها شبها في دار العامة في سامراء، وفي قصري العاشق وبلكوارا،[٤٧] كما تبنته بعض القصور الأموية مثل قصر المشتى،[٤٨] لكن بصفة محتشمة. ولا نشك في أنّ هذا التصميم قد جاء من العراق.

ويبدو أنّ الجهة القبلية قد حوّرت في هذه المرحلة بأن حذف الرواق الجنوبي، وعوض بإيوان تحف به غرفتان من الجانبين ويقع مباشرة خلف المدخل الرئيسي للقصر ومقابل الحنية الغائرة لقاعة العرش (شكل ٣) وقد أقيم بين جدار الإيوان والغرف المتصلّة به من جهة، وبين جدار سقيفتي المدخل من جهة ثانية مصعدا لا تزال آثاره بارزة للعيان، ولعلّه يقود إلى سقف الدهليز والغرف المتصلّة به أو إلى أعلى السور، أو إلى طابق أعلى من المحتمل أن يكون مجلسا، وهنا يمكن مقارنته مع مجالس أبواب مدينة بغداد المدورة وباب العامة في سامراء، ومع قاعات الإستقبال التي أقيمت فوق أبواب القصور الأموية الصحراوية.[٤٩]

من خلال التخطيط يمكن القول إنّ قصر الصحن في هذه المرحلة استوحى الكثير من ملامحه من القصور العبّاسيّة سيما في مستوى القاعة المركزية التي تعلوها قبّة وهاته القاعة يحيط بها إيوانان، وفي مستوى الإيوان الذي يوجد في الجنوب الشرقي غير بعيد عن المدخل الرئيسي (إيوان المدخل)، وهو يذكرنا بإيوان دار العامة في سامراء، والذي يتألف بدوره من ثلاثة أواوين ذات عقود مدبّبة أكبرها الإيوان الأوسط.[٥٠] كما لا نستبعد أن يكون هذا الإيوان قد خصّص كي يكون

---

[٤٦] محمد الشابي، "رقادة "، ص ٨٧؛ فوزي محفوظ، عمارة الخلفاء، ص ٢٨٩.

[47] Northedge, 2001, p. 33- 34- 43- 52.

[48] Otto- Dorn, 1967, p. 56.

[٤٩] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام ١، ص ٧٥؛ أسماء عمارة، البلاط العبّاسيّ، ص ١٦٧؛

Northedge, 1993, p. 146 ; Northedge, 1998, p. 153.

[50] Creswell, 1989, p. 333.

المنارة للاستشارات
www.

مصلّى، سيما وأنّه يحتل الركن الجنوبي الشرقي، ولو أنّه لم يخضع لتخطيط المساجد الإسلامية.

ومن الملاحظ أنّ قسم السكن والمرافق لا يحتل إلاّ مساحة صغيرة بالمقارنة مع المساحة التي يحتلها قسم الإستقبال، حيث تتخذ فيه الساحة الكبرى وقاعة العرش أهميّة بارزة من الناحية المعمارية وممّا لا شك فيه من الناحية الوظيفية أيضا، ولا بدّ أنّ غرفه وقاعاته كانت مخصّصة للشؤون الرسمية.

وهذا التصميم في القصر الثاني وإن كان منقوصا إلاّ أنّه يذكرنا بما عرف عن قصور الرقه: القصر الشرقي والقصر "ب" وعن دار العامة بسامراء، والتي تتميّز بأهمية الدَوْر الذي يحتله قسم الإستقبال الذي كثيرا ما يأخذ حيّزا ذا بال ضمن المساحة العامة للمعلم. وهو ما يمكن مشاهدته في القصر الشرقي المعروف بقصر هارون الرشيد، والذي يحتوي بدوره على مدخل يفضي إلى سقيفة تفضي بدورها إلى ساحة ممتدة تقودنا إلى قاعة الإستقبال المؤلفة من قاعة وسطى كبرى متصلّة في كلّ جانب من جانبيها عبر باب بغرفة، ويتقدم هذه المجموعة رواق.[٥١] ونفس الشيء فقد اشتمل قسم الشؤون العامة في القصر "ب " (شكل ٤) على باب رئيسي يتصل بساحة كبرى، تحيط بها أروقة، وتفضي بدورها إلى قاعة وسطى كبرى تحيط بها أربع غرف [٥٢] وفي هذا التوجّه لا تختلف دار العامة في سامراء كثيرا، والتي تحتوي بدورها على باب ضخم سمّي باب العامة، يفضي إلى سلسلة قاعات، تفضي بدورها إلى ساحة كبرى توصل إلى قاعة العرش التي تعتبر من أهمّ القاعات المكتشفة في القصر. [٥٣]

أمّا الجزء المخصّص للسكن في قصر الصحن فيوجد في الناحية الغربية للمعلم، وهو يعبّر عن مرحلة أخرى من حياة المعلم.

- المرحلة الثالثة والأخيرة من حياة القصر (شكل ٣)

يبدو من خلال ما أفرزته الحفريات أنّه لم يكن معاصرا للقصر الثاني، وأنّه ألحق في فترة لاحقة، فقد ألصقت بعض غرف هذا القسم وسط أبراج السور الخارجي الغربي للقصرين الأول والثاني. وإجمالا قسّم البناء إلى سبعة دور أو بيوت (لوحة ٦)، تتوزع بطريقة متتالية، وتنفتح جميعها جهة الشرق على ممّر واحد، ولكّل دار من هذه الدور ساحة تحيط بها مجموعة من الغرف. وقد بنيت على النمط التالي:

تتألف كلّ دار من مدخل يفضي إلى سقيفة ممتدة، تحيط بها غرفة من الجانبين، تفضي بدورها إلى صحن مستطيل ممتد شرقا غربا تحيط به أربعة غرف إثنتان من

---

[٥١] ميخائيل مانيكه، بان كريستوف هوش، قصر هارون الرشيد في الرقة؛ أسماء عمارة، البلاط العبّاسيّ، ص ١٢٥- ١٣٢.

[52] Saliby, 2004, p. 83.

[53] Northedge, 1998, p. 153- 154.

المنارة للاستشارات
www.

كلّ جهة، ويؤدي بدوره إلى رواق تتوزع خلفه قاعة وسطى على هيئة مستطيل عميق نسبيا، تحتل الصدر وتقابل المدخل الرئيسي للدار وتحيط بها من الجانبين قاعتين في نفس عمقها ولكنهما أقلّ اتساعا منها، وتشتمل كلّ قاعة من هذه القاعات على مقصورة صغيرة.

وقد صمّمت بقية الدور الأخرى على نفس الشاكلة، أي على طريقة الشقق بحيث تشكّل كلّ دار نظاما مستقلا بذاته تتوزع فيها الغرف حول ساحة مستطيلة لها رواقها الأمامي تتوزع خلفه حجرات يغلب عليها النمط الإيراني. ويبلغ عدد الغرف في كلّ بيت تسعة غرف أو حجرات، مستطيلة مختلفة الشكل إذ تشتمل ثلاثة منها على مقصورة. وضمن هذه الغرف تتميّز الحجرة الواقعة في منتصف الجدار الغربي والتي يبدو أنّها قد خصّصت كمجلس.

هذا وتختلف الدار الواقعة في الزاوية الجنوبية الغربية من حيث المدخل الّذي لم ينفتح على المّمر كبقية الدور، وإنّما يتم الوصول إليها من باب يقع في الجهة الجنوبية، يفضي إلى سقيفة منعطفة، تفضي بدورها إلى سقيفة أخرى وهي تفضي إلى ساحة مستطيلة. وبحكم قرب هذه الدار من المدخل الرئيسي للقصر، فيبدو أنها قد خصّصت للخدمات والمطابخ.

ويبدو من المخطّط (شكل ١ و٢) أيضا أنّ بعض التحويرات والإضافات قد أدخلت على بعض الدور، حيث وقع ضمّ قسم كبير من البيت الثاني إلى البيت الأول،[٥٤] الذي أصبح يشتمل على ستة قاعات، كلّ قاعة بها مقصورة، وعلى سبع غرف، إلى جانب سقيفة وصحن ممتد من الشمال إلى الجنوب، الأمر الذي جعلها تصبح أكبر دار من مجموع الدور. أمّا الدار الثانية فلم تحتفظ إلاّ بسقيفة وصحن وثلاث غرف.

إنّ دراسة هذه الدور تبيّن أنّ جميعها كانت تقع ضمن حرم واحد، وتتصل بالقصر عن طريق باب فتح في طرف الإيوان الذي يحيط بقاعة العرش من جهة الغرب، والّذي يفضي عبر سقيفة إلى ممّر فرعي منعطف، يوصل بدوره إلى الممّر الرئيسي المكشوف الذي فتحت عليه جميع الدور، وفي صورة ما غلق هذا الباب، فلا يمكن لأحد كان الوصول إلى هذا القسم، إلاّ عن طريق باب آخر فتح في الزاوية الجنوبية الغربية للقصر الأول، وأغلب الظنّ أنّ هذا الجناح كان مخصّصا للحريم. ويؤمّن الإتصال بين هذه الدور وبين قسم الإستقبال ممّر خاص يمتد شمالا جنوبا، لا تزال آثاره باقية (لوحة ٦)، وهو الذي تنفتح عليه كلّ الدور كما سبق وأن أشرنا إلى ذلك.

ويتم الدخول إلى مجموعة القصور عن طريق بوابة وحيدة تتمثل في المدخل الأول الذي بقي الباب الرئيسي والوحيد للقصر. وهو ما يجعلنا نقول أنّ قصر

(٥٤) محمد الشابي، "رقادة "، ص ٨٨.

المنارة للاستشارات
www.

الصحن هو عبارة عن مركب، وهو بهذا الشكل يختلف عمّا كان سائدا في القصور الأخرى من حيث انقسامه إلى قسمين هما، جناح الإستقبال أو ما سوف يعرف "بالسلاملك"، ثمّ جناح السكن الخاص "الحرملك".

وهو ما يؤكد الأهمية القصوى لهذا القصر ودوره السياسي الأكيد والذي برز من خلال تفضيل عبيد الله المهدي له دون سائر قصور رقادة،[٥٥] فالأقسام التي أتينا على وصفها هي على غاية من التكامل المعماري وقد عمد المهندسون والفنّانون على جعلها متصلّة ومنفصلة في آن واحد. وهو ما يجعل قصر الصحن بذلك يختلف عن القصور الأموية المعروفة كقصر الحير الغربي والشرقي والمشتى والخرانة، وغيرها..، حيث كانت لهذه القصور ساحة كبرى تلتف حولها الغرف والتي تختلف من حيث التصميم من معلم لآخر. وهذه الظاهرة المتمثلة في انقسام مقر الحكم إلى ما يسمّى بجناح الشؤون العامة، -والّذي يتألف من ساحة كبرى تتصل بها غرف وقاعة كبرى- ودور السكن الخاصة، قد برزت كذلك في قصور الرقة، وتطورت فيما بعد في كلّ من سامراء وبغداد بعد عودة الخلافة إليها،[٥٦] وتواصلت في رقادة.

وبناء على ذلك نلاحظ كيف تغير شكل القصر من النمط الأموي إلى النمط العبّاسي، حيث وقع التخلّي عن الشكل المربّع الذي ميّز القصور الأموية، لفائدة التخطيط المستطيل الأكثر رواجا في القصور العبّاسية، والتي تتميّز بأهمية قسم الإستقبال فيها، وبالفصل بين ما هو قسم الشؤون العامة وقسم الشؤون الخاصة، وهو ما يبدو واضحا في قصور الرقة وفي دار الخليفة في سامراء (شكل ٥) خاصة بعد أن أثبتت أبحاث الأثري الانجليزي نورثادج، أنّ "الجوسق الخاقا " و"دار العامة " لا يمثلان قصرا واحدا مثلما ذهب إلى ذلك كلّ من هرزفلد وكرزول، وإنّما ينتميان إلى مركب واحد أطلقت عليه المصادر اسم "دار الخليفة "، والذي يضمّ في نفس الوقت: دار العامة وهي قصر الخليفة العام الذي يجلس فيه كلّ يوم اثنين وخميس للنظر في شؤون الرعية، والجوسق الخاقاني وهو مقرّ الخليفة الخاص الذي يقع شمال دار العامة، والذي يعيش فيه الخليفة مع نسائه ويدفن فيه أيضا.[٥٧]

ثمّ إنّ قصر الصحن لا يختلف عن القصور العبّاسيّة، من حيث التصميم فحسب بل وكذلك من حيث مادة البناء، التي يغلب عليها الطوب والآجر، وتقل فيها الحجارة.

٣- قصر الصحن: مواد البناء والزخرفة

فقد كانت جدران القصر السميكة قائمة حتى ارتفاع متر ونصف المتر، وهي مشيّدة بالطوب، كما شيّدت به كذلك الأبراج الخارجية للقصر، والمتأمل فيه يلاحظ نوعين، طوب أحمر فاتح استخدم في بناء جدران وأبراج وغرف القصر الأول،

---

[٥٥] ابن عذاري، البيان المُغرب ١، ص ١٥٨.

[٥٦] أسماء عمارة، البلاط العبّاسيّ، ص ١٩١.

[57] Northedge, 2001, p. 36; Saliby, 2004, p.٨٥ ; Saliby, 2004, p.130.

المنارة للاستشارات
www.

وطوب أحمر داكن استخدم في الأقسام المضافة وقد جاء أقلّ صلابة (لوحة ٧)، وهو ما أشار إليه الشابي وما لاحظناه بدورنا. وهكذا فإنّ الطوب يمكن أن يؤرخ نهاية مرحلة من مراحل حياة القصر. وقد تمّ الربط بين قوالب الطوب بواسطة ملاط رماديّ اللّون من الرمل والجير.

أمّا الآجر (لوحة ٨)، فقد استخدم خاصة في التبليط، وفي بناء القنوات والمجاري المائية وهو من صنفين: آجر أبيض استخدم في تبليط صحن وقاعات وغرف القصر الأول، وآجر أحمر مستطيل وذي حجم أصغر استخدم في تبليط بناءات المرحلة الثانية أو القصر الثاني.[٥٨] بينما استخدمت الحجارة في بناء المواجل وهي من صنفين الدبش وقد استعمل في بناء الجدران (لوحة ٢)، بينما استعملت الحجارة المهندمة في بناء أكتاف المواجل وهي التي تحمل السقف القبوي. أمّا السواقي فقد بنيت بالآجر أيضا ولا تزال آثارها باقية.

كما أظهرت أعمال التنقيب أهميّة الزخارف الجصّية التي كانت تحلّي جدران القصر، وأبوابه ومداخله في شكل أطر وأفاريز. وتتألف الزخارف من سلسلة من الأغصان والوريدات والتوريقات مثل أوراق العنب الثلاثية والخماسية الفصوص وعناقيده التي جاءت محوّرة عن الطبيعة، ومحفورة في الإطار الجصّي حفرا عميقا،[٥٩] وهذا النمط من الزخرفة هو من التأثيرات العبّاسيّة التي نرى شبيها لها في قصور الرقة، كما يذكرنا بأنماط الزخرفة التي اتبعت في سامراء خلال الطورين "أ" و"ب"، بينما لم تستخدم أساليب الطور الثالث "ج" في الزخارف الجصّية المستخدمة في قصور رقادة والتي تعتمد طريقة الصب في قوالب وليس الحفر الغائر.[٦٠] وبهذا يكون قصر الصحن من المعالم التي رسّخت التأثيرات العبّاسيّة سواء على مستوى التخطيط، أو على مستوى مواد البناء والزخرفة.

كما عثر في قصر الصحن أيضا على أفاريز كتابية نحتت بالخط الكوفي البارز وأحيطت بشريط من المثلثات.[٦١] كما كسيت بعض الجدران بمربعات الزليج ذي البريق المعدني، الذي يغلب عليه اللّون الأخضر والأصفر على أرضية بيضاء (لوحة ٩)، أمّا الرسوم التي احتوتها فتمزج بين الأشكال الهندسية والتي تتمثل في معيّنات تحمل بداخلها زخارف نباتية في شكل وريدات، وزهرات، وسعفات نخيل، إلى جانب أغصان ملتوية. وقد قسّمت مربعات الزليج إلى أربعة مربعات بواسطة صليب، وزعّت داخله المعيّنات بطريقة تخضع لمبدأ التناوب والتنظيم المزدوج أفقيا

---

(٥٨) محمد الشابي، "رقادة "، ص ٨٩.

(٥٩) محمد الشابي، "تقرير مختصر حول الحفريات الجارية برقادة"، ص ٣٨٩.

(60) Creswell, 1989, p. 375- 376;

علي أحمد الطايش، الفنون الزخرفية الإسلامية المبكرة في العصرين الأموي والعبّاسي، ص ١٥٥.

(٦١) محمد الشابي، "رقادة "، ص ٩٠.

المنارة للاستشارات
www.

وعموديا. وتدّل هذه المربعات الزليجية، والتي تعود إلى القرنينIII/ IV هـ/ XI/ Xم، على حذق الفنّانين القيروانيين لهذه الصناعة في فترة متقدمة.[٦٢]

وبما أنّ هذا القصر يتميّز بالزخرفة والنظام الهندسي المزدوج، فإنّه لا يمكن أن يكون قد بني لأغراض عسكرية دفاعية بحتة مثلما ذهب إلى ذلك محمد الشابي، لأنّ القصر العسكري يتطلب توفر مجموعة كبيرة من المداخل التي تكون عادة متقابلة كي تصل فيما بينها، نظرا لحاجة القادة والعسكريين إلى الإتصال والحركة فيما بينهم وهو ما نراه في القصر "د" في الرقة والذي يبرز فيه الطابع العسكري بصفة جليّة وواضحة،[٦٣] بينما الأمر يختلف في قصر الصحن الذي اشتمل على بوابة واحدة، وهو بهذا يكون أقرب إلى المركب السياسي منه إلى المعسكر، وقد جاء محصّنا وذلك للدفاع بوجه أيّ قوات تحاصره.

وبذلك يكون قصر الصحن في شكله الحالي من نموذج القصور العبّاسية، لكن بحجم أقلّ، ذلك أنّ ما تميّزت به قصور الرقة وسامراء من ميل نحو الضخامة والارتفاع، يبقى من ميزات قصور الخلافة. ونظرا لأهميته بوصفه يمثّل النموذج الأقدم والمكتمل لعمارة القصور بإفريقية وبلاد المغرب عامة فلا بدّ من حفظه، وذلك بالتحكم في النباتات والقضاء عليها باستخدام مبيدات الحشرات، وترميمه عن طريق الحقن بالملاط المناسب،[٦٤] وإن أمكن إعادة بناء أجزاء منه (قسم الإستقبال)، ورفع الجدران الخارجية وجدران الغرف كي تبدو متساوية مقدار مترين أو متر واحد حسب الحالة، إلى جانب طليها بمادة الجص الأبيض الذي عادة ما يستخدم لحماية الجدران المشيّدة بالطوب ضدّ العوامل الجويّة. ولتحقيق ذلك لا بدّ من استخدام مادة الطوب المصنوع وفق المواصفات القديمة ومادة الجص التقليدية. وذلك كي يبقى شاهدا على ما كانت عليه عمارة القصور الأميرية في العهد الأغلبي، خاصة وأنّه سيصبح مصدرا ملهما في عمارة القصور الأميريية بافريقية وبلاد المغرب الإسلامي عامة، خلال الفترتين الوسيطة والحديثة.

ويمكن أن نلمس تأثيره خاصة في شيوع المدخل المنكسر، وهو عنصر معماري تبنته القصور الأميرية في العصر الفاطمي في قصر أجدابية بليبيا،[٦٥] ثمّ ظهر في المدخل الشمالي المتقدم في المهدية الذي أرّخه الوحيشي بالعهد الزيري،[٦٦] -مثلما أشرنا إلى ذلك سابقا-، والذي ينفتح بدوره على دهليز مستقيم يحدّه جدار مغلق،

---

(62) Rammah, 2008, p. 10.

(63) Saliby, 2004, p.122 ;

نسيب صليبي، "ثلاثة قصور من الرقة القديمة"، ص ٤٨.

(٦٤) جان بيير آدم، آن بوسوتور، "الترميم المعماري والحفاظ على المواقع الأثرية"، ص ٥٠٩-٥١٤.

(٦٥) مجدي عبد الجواد علوان، "العمائر الفاطمية بالمدن الليبية"، ص ١٢١٥.

(66) Louhichi, 2004, p. 152.

المنارة للاستشارات
www.

بحيث لا يتم الولوج الى داخل القصر إلاّ عن طريق بابين متقابلين أحدهما على اليمين والآخر على اليسار، يفضي كل واحد منهما إلى سقيفة تؤدي إلى ممّر تتوزع فيه غرف صغيرة.[٦٧] كما عثر عليه – أي المدخل المنكسر- في الجزائر في قصر أشير، وفي المقرّات الأميرية في قلعة بني حمّاد. [٦٨] كما شاع استخدامه في قصور البايات، إلى جانب عنصر آخر هام وهو الإيوان، والذي أصبح يعرف في الفترة الحديثة بالبيت ذو القبو والمقاصر.[٦٩] ومن ثمّة تعتبر المحافظة على هذين العنصرين رمزا من رموز التواصل المعماري في عمارة القصور بين الفترتين الوسيطة والحديثة.

كما يتجلّى تأثير قصر الصحن من خلال قاعة العرش التي تأخذ شكلا بازيليكيا، والتي نرى شبيها لها في قصر الخليفة القائم بأمر الله (٣٢٢ ـ٣٣٤ هـ/ ٩٣٤ ـ ٩٤٦ م) بالمهدية. فقد كشفت الحفريات التي قام بها ع. الوحيشي نهائيا عن قاعة عرش بازيليكية متكونة من ثلاث بلاطات متعامدة على المحراب أكبرها البلاطة الوسطى، وقد بلّطت البلاطتين الجانبيتين لها بالفسيفساء، بينما لم تكشف الحفريات التي أشرف عليها زبيس إلاّ عن البلاطة الجنوبية فقط. وقد قدّرت المقاييس الجملية لقاعة العرش بـ١٢،٥٠على١٤،٥٠م، ويبلغ عرض كلّ من البلاطتين الجانبيتين ٤ م، أمّا البلاطة الوسطى فيبلغ عرضها ٦،٥٠ م،[٧٠] وهذا هو تقريبا نفس النظام الذي لوحظ في قاعة عرش قصر الصحن، مع فارق طفيف في المقاييس يترواح بين المتر والمتر ونصف كما نلمس تأثيرها خارج افريقية في قاعة عرش عبد الرحمان الثالث في قرطبة(القرن٤هـ/١٠م)، والتي أخذت شكلا بازيليكيا أيضا[٧١]

وبالتالي فإنّ تواصل شكل قاعة العرش من الفترة الأموية، إلى الفترة العبّاسية- الأغلبية ومنها إلى الفترة الفاطمية، يُبين -ومثلما ذهب إلى ذلك الأستاذ فوزي محفوظ في دراسته للقصور الأموية، أنّ التحولات السياسية لا ينجر عنها بالضرورة تحولاّت معمارية، [٧٢] على أنّه لا يمكن أن نأخذ ذلك بصفة مطلقة لأنّ معلوماتنا حول القصور الأميرية بإفريقية لا تزال غير كافية، فإلى حدّ الآن لم يقع التعرف على مدخل قصر القائم، كما أنّ السؤال لا يزال مطروحا حول إن كان قصر المهدي قد أقيم فعلا فوق البرج العثماني مثلما ذهب إلى ذلك ج. مارسي وأيّده في ذلك عدنان الوحيشي؟[٧٣] وهل أنّ قصر صبرة المنصورية هو قصرا خليفيا أم لا؟

---

(67) Zbiss, 1956, p. 81- 8٢.

(68) Zbiss, 1956, p. 81 ; Golvin, 1958, p. 223- 227 ; Lézine, 1971, p. 93.

(٦٩) أحمد السعداوي، "العمارة والفنون في العصر الحديث"، ص ٢٥٤.

(70) Louhichi, 2004, p. 155- 156.

(71) Barcelo, 1995, p. 159.

(٧٢) محفوظ، عمارة الخلفاء، ص ٢٠٤.

(73) Marçais, 1954, p. 78- 79 ; Louhichi, 2004, p. 152.

المنارة للاستشارات
www.

خاتمة:

إنّ دراسة القصور الأميرية في إفريقية من خلال نموذج قصر الصحن في رقادة مكّنتنا من التوصل إلى

النتائج التالية:

أولاّ: نلاحظ أنّ عوامل عديدة مناخية وسياسية وإيديولوجية وعمرانية وحتى عسكرية، إلى جانب عامل الإحلال والتكدس قد أثّرت بشكل كبير في عمارة القصور الأميرية، بحيث لم يكتب البقاء إلاّ لعدد محدود منها، وبناء على ذلك لم نتمكن من إستخراج إلاّ نموذجا واحدا، وقد ساعدنا على دراسته تكامله المعماري والفنّي وذلك رغم أنّ التنقيب الأثري لم يستكمل في أقسام عديدة منه.

ثانيا: إنّ قصر الصحن يعتبر من أهمّ الشوهد الأثرية التي يمكن أن تفيدنا بمعلومات أساسية حول عمارة القصور الأميرية بإفريقية، التي لا نزال نجهل الكثير عنها، وذلك عكس القصور الأميرية في المشرق الإسلامي والتي تناولها العديد من الدارسين، فهو يمثل أقدم الأمثلة على الإطلاق، وقد اعتمدنا في دراسته على العمل الميداني بالأساس، وتمكّنا من إلقاء الضوء على كامل عمارة القصر.

ثالثا: إنّ دراسة قصر الصحن تبيّن مدى تأثره بالموروث القديم لا سيما على مستوى المدخل المنكسر أو الباشورة إلى جانب خضوعه للتأثيرات المشرقية السورية وبالتحديد خلال المرحلة الأولى والتي نراها على مستوى الشكل العام، وعلى مستوى الشكل البازليكي لقاعة العرش. ولكّنه تبنى أيضا التقاليد العبّاسية في التصميم ونمط البناء والزخرفة أيضا، إضافة إلى إستعماله لما يعرف بالإيوان. وبهذا الشكل يكون قصر الصحن قد انطلق في هيئته الأولي أمويا لتتغير ملامحه فيما بعد ويصبح عبّاسيا، مع المحافظة على بعض الخصوصيات المحليّة. فأصبح بذلك مصدرا ملهما في عمارة القصور الأميرية بإفريقية وبلاد المغرب عامة.

المنارة للاستشارات
www.

المصادر والمراجع

المصادر العربية

ابن الأبّار، كتاب الحُلّة السِّيراء ١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥.

ابن حمّاد، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، د. ت.

ابن عذاري المرّاكشي، البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب ١، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣.

ابن ناجي، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ١، تحقيق إبراهيم شبوح، القاهرة، ١٩٦٨.

البكري، المسالك والممالك ٢، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٩٢.

البلاذري، فتوح البلدان، مطبعة الموسوعات، القاهرة، ١٩٠١.

التّجاني، رحلة االتّجاني، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، ١٩٨١.

الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام ١، القاهرة، ١٩٣١.

الداعي إدريس عماد الدين، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥.

المقريزي، كتاب المقفّى الكبير ٤، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ١٩٩١.

اليعقوبي، كتاب البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨.

المراجع العربية

أحمد السعداوي، "العمارة والفنون في العصر الحديث"، تونس عبر التاريخ من العهد االعربي الإسلامي إلى حركات الإصلاح، ج ٢، ٢٠٠٧، ص ٢٤٣- ٢٦١.

أسماء عمارة، البلاط العبّاسيّ: دراسة تاريخيّة وفنيّة (١٣٢- ٣٣٤ هـ/ ٧٤٩- ٩٤٥ م)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بسوسة- دار الإتحاد للنشر والتوزيع، تونس،٢٠١٧.

جان بيير آدم، آن بوسوتور، "الترميم المعماري والحفاظ على المواقع الأثرية"، الحفظ في علم الآثار االطرق والأساليب العلمية لحفظ وترميم المقتنيات الأثرية، ترجمة محمد أحمد الشاعر، المعهد العلمي للآثار الشرقية، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٤٨٩- ٥٢٠.

عبد القادر ريحاوي، "قصور الحكام في دمشق"، الحوليات الأثرية السورية"، المجلّد ٢٢، ج ١- ٢، ١٩٧٢، ص ٣١- ٧٠.

علي أحمد الطايش، الفنون الزخرفية الإسلامية المبكرة في العصرين الأموي والعبّاسي، زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠١٣.

غازي بيشة، القصور الأموية في الأردن، وزارة السياحة والآثار، عمان، ١٩٧٤.

فريد شافعي، العمارة العربية في مصر الإسلامية عصر الولاّة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤.

المنارة للاستشارات
www.

فوزي محفوظ، عمارة الخلفاء، المنشورات الجامعية بمنوبة تونس، ٢٠١٣.

مجدي عبد الجواد علوان، "العمائر الفاطمية بالمدن الليبية"، دراسات في آثار الوطن العربي ١٩، ص ١٢٠١- ١٢٢٧.

محمد الشابي، "تقرير مختصر حول الحفريات الجارية برقادة"، افريقية ٢، تونس، ١٩٦٨، ص ٣٨٤- ٣٩٢.

محمد الشابي، "رقادة"، دائرة المعارف التونسية ١، تونس، ١٩٩٠، ص ٧٨- ٩٣.

محمد حسين فنطر، الحرف والصورة في عالم قرطاج، أليف- منشورات البحر الأبيض المتوسط، تونس، ١٩٩٩.

ميخائيل مانيكه، بان كريستوف هوش، قصر هارون الرشيد في الرقة، مطبعة الأمان، المعهد الألماني بدمشق، ٢٠٠٠.

نسيب صليبي، "ثلاثة قصور من الرقة القديمة"، وقائع الندوة الدولية لتاريخ الرقة، ٢٤- ٢٨ تشرين الأول، ١٩٨٣، ص ٤٥- ٤٩.

المراجع الأجنبية

A. Lézine, « Sur deux Châteaux Musulmans d'Ifriqiya Raqqada- Ajdabiya », *Revue des Etudes Islamiques*, XXXIX/ 1, 1971, pp. 87- 102.

A. Louhichi, « La Mosaïque de Mahdia Contexte et Interprétation », *Africa*, XX, p. 143- 165.

A. Northedge, « An interpretation of the palace of the caliph at Samarra (Dar al- khilafa or Jawsaq al- Khaqani », in *Ars Orientalis*, 1993, pp. 143- 170.

A. Northedge, « Analyse du Plan du Palais du Calife al- Mu'tasim à Samarra », in *Textes Arabes et Études Islamiques*, Institut Français d'Archéologie Orientale, Le Caire, 1993, 1998, (2 éd), p.149- 179.

A. Northedge, « The Palaces of the Abbasids at Samarra », in *A Medieval Islamic City Reconsidered, An Interdisciplinary Approach to Samarra*, Oxford, 2001.

A. Northedge, *Entre Amman et Samarra : l'Archéologie et les Élites au début de l'Islam (VII e- IX e siècles)*, Synthèse de Travaux soumise pour l'obtention de l'Habilitation à Diriger des Recherches, Université de Paris I (Panthéon Sorbonne), Paris, 2000.

A. Northedge, *The historical Topography of Samarra*, Samarra Studies I, London, 2005

G. Marçais, *L'Architecture Musulmane d'Occident*, Paris, 1954.

K. Otto- Dorn, *L'Art de l'Islam*, Paris, 1967.

K.A.C. Creswell, *Early Muslim Architecture*, v II, New York, 1979.

L. Golvin, "Note sur les entrées en Avant- corps et en Chicane dans l'Architecture Musulmane de l'Afrique du Nord », *Annales de l'Institut d'Études Orientales*, 1958, p. 221- 245.

M . Rammah, *Le Musée des Arts Islamiques de Raqqada (Kairouan)*, Tunis, 2008.

المنارة للاستشارات

www.

Marçais, George, *EI*^{2}, VIII, 1995, p. 428- 429, *s.v*, «Rakkada ».

N. Hagen ; M. Al- Khalaf ; M. Meinecke ; H. Mismahl, "Das Nordtor", in Raqqa III Baudenkmäler und Paläste I, Deutsches Archäologisches Institut, 2004, p. 5- 10.

N. Saliby, «Les Fouilles du Palais B 1950- 1952», in V. Daiber , A. Becker, Raqqa III, Baudenkmäler und Paläste I, Mayence, 2004, p. 77-103.

N. Saliby, «Les Fouilles du Palais C 1953 », in V. Daiber , A. Becker, Raqqa III, Baudenkmäler und Paläste I, Mayence, 2004, p. 105- 120.

N. Saliby, «Les Fouilles du Palais D 1954 et 1958 », in V. Daiber , A. Becker, Raqqa III Baudenkmäler und Paläste I, Mayence, 2004, p. 121- 130.

O. Grabar, A.Grabar, « L'Essor des Arts inspirés par les Cours Princières à la fin du Premier Millénaire, Princes Musulmans et Princes Chrétiens » in *L'Occidente E L'Islam Nell'Atto Medioevo 2*, Spoleto, 1965, pp. 845- 901.

O. Grabar, *La Formation de l'Art Islamique*, Paris, 1987.

P. Cressier, M. Rammah, « Sabra al- Mansuriya. Une Nouvelle Approche Archéologique », in *Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres*, 150^{e} année, N. 1, 2006. pp. 613-633.

S. Gragueb Chatti, T. Khechine, « La Fouille dans le Terrain dit « Dār al-Imāra » jouxtant le Mur de la Qibla de la Grande Mosquée de Kairouan (Analyse et Commentaire de Données Inédites), dans *Revue Tunisienne d'Archéologie*, n 4, 2017, p. 117- 167.

S. Gragueb Chatti, T. Khechine, «Nouvelles Données sur la Topographie, l'Urbanisme et l'Architecture aux Alentours de la Grandes Mosquée de Kairoun, des Origines jusqu'à l'Époque Hafside : Essai de Restitution à partir des Fouilles Archéologiques », dans *Campagnes et archéologie rurale au Maghreb et en Méditerranée, Actes du sixième colloque international (Kairouan : 14, 15 et 16 avril 2016*, Tunis, 2017, p. 203- 237.

S. M. Zbiss, « Mahdia et Sabra- Mansoûriya Nouveaux Documents d'Art Fatimide d'Occident », *Journal Asiatique*, TCCXLIV, 1956, p. 79- 93.

المنارة للاستشارات
www.

الأشكال واللّوحات

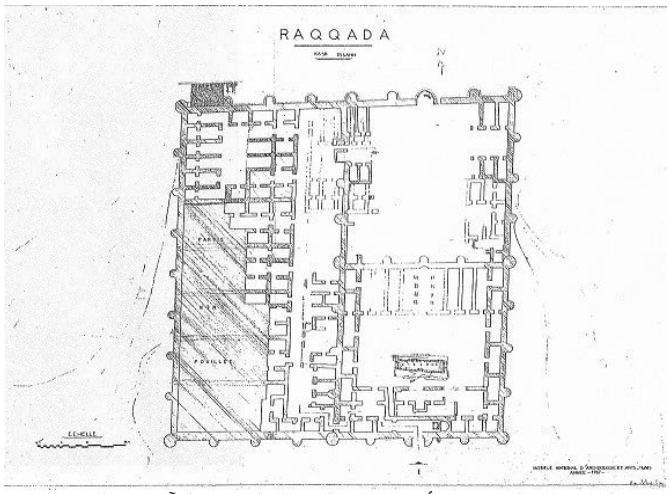

(شكل ١) قصر الصحن: المسقط الأفقي عن المعهد القومي للآثار والفنون برئاسة المرحوم محمد الشابي، ص ٣٨٧.

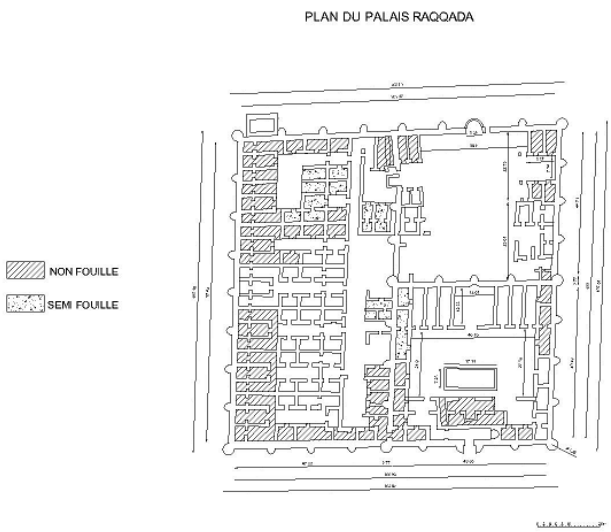

(شكل ٢) قصر الصحن: المسقط الأفقي إنجاز المهندس معزّ رجيبة وبمساعدة فريق عمل متكون من: د. أسماء عمارة، د. سفيان بن موسى.

المنارة للاستشارات
www.

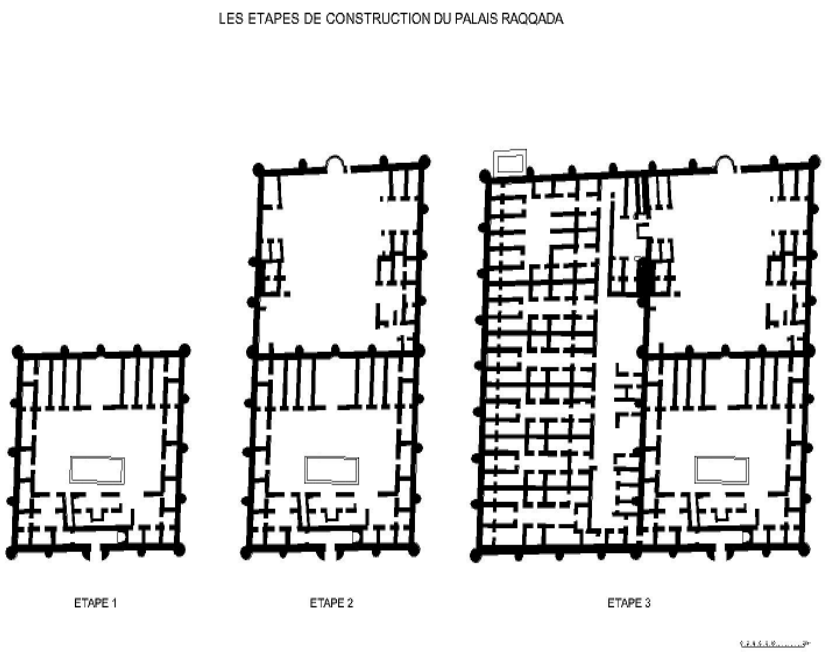

(شكل ٣) قصر الصحن: المسقط الأفقي للمراحل الثلاث التي مرّ بها القصر، إنجاز المهندس معزّ رجيبة وبمساعدة فريق عمل متكون من: د. أسماء عمارة، د. سفيان بن موسى.

(لوحة ١) قصر الصحن: الأبراج الركنية

المنارة للاستشارات
www.

(لوحة ٢) قصر الصحن: السور الخارجي وبوابة القصر

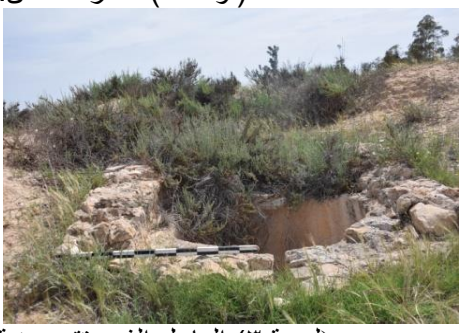

(لوحة ٣) الماجل الذي يتقدم حنية المحراب والماجل الذي يتوسط الصحن

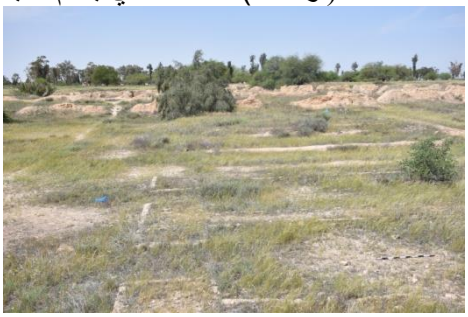

لوحة (٤) قاعة العرش البازيليكية والقاعات المجاورة لها

المنارة للاستشارات
www.

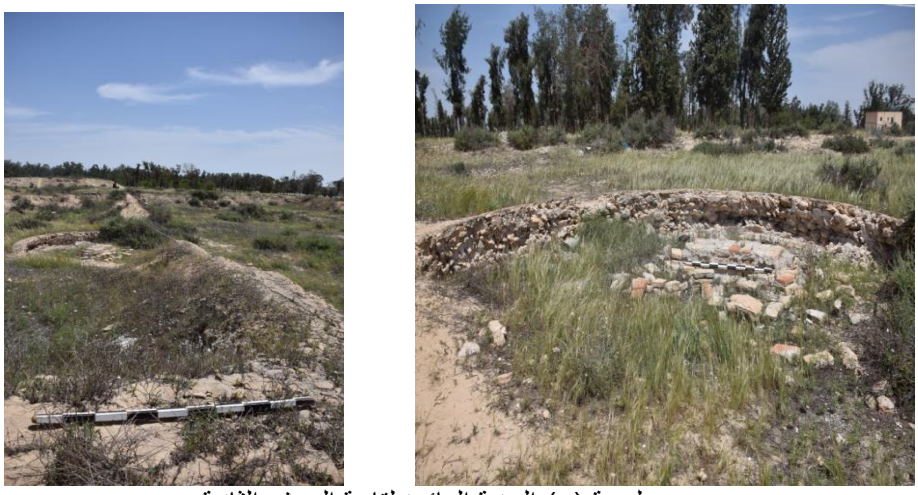

لوحة (٥) الحنية الغائرة لقاعة العرش الثانية

لوحة (٦) الممّر و الدور

لوحة (٧) قوالب الطوب

لوحة (٨) آجر التبليط

لوحة (٩) مربعات من الزليج ذي البريق المعدني، متحف الحضارة والفنون الإسلامية برقادة

المنارة للاستشارات
www.

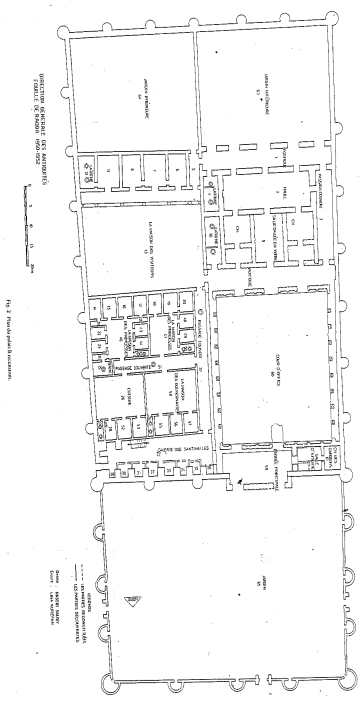

شكل (٤) مسقط القصر"ب" عن صليبي
Saliby, 2004, p. 105, fig. 1.

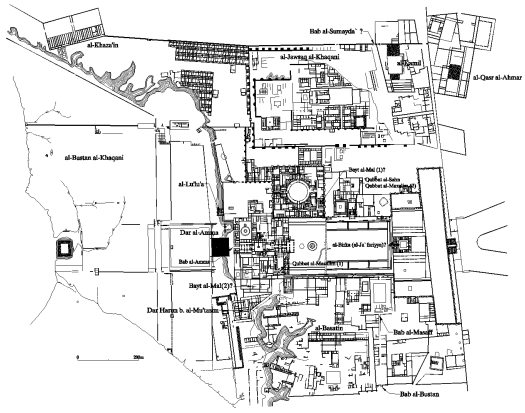

شكل (٥) مسقط "دار الخليفة" عن نورثادج
Northedge, 2000, p. 152, fig. 40.

المنارة للاستشارات
www.

The Architecture of Princes' Palaces in Ifriqiya The Sahn Palace as a Model

Dr. Asmaa Amara•

Abstract:

It should be noted that in addition to the religious establishments, **Ifriqiya** was characterized by other types of establishments of a predominantly civilian nature. The most prominent of these establishments are palaces, although what remains of them is very little compared to other branches of Islamic architecture such as mosques, ribats, fences and others. This is because these palaces are often subject to destruction and change, depending on the change of rulers and changing desires, attitudes and needs. The Qasr al-Sahn in Raqqada is a unique landmark for anyone who wants to study palace architecture in **Ifriqiya** in the Middle Ages. The uniqueness of this landmark is not only in its size and shape, but also in its archaeological data on the architecture of palaces, of which we still do not know much.

The study of the palace of al-Sahn shows that it is affected by the architecture of the palaces of the Levant. This can be seen in the planning and in many other architectural components such as the exterior wall, the entrance, the throne room, the iwan, the appartement, etc., in addition to the decoration. At the same time, it benefited from the ancient local heritage of the Punic and Byzantines, which gave it a special peculiarity that made it an inspiring source in the architecture of the princes' palaces in **Ifriqiya** and the Islamic Maghreb in general.

Keywords:

Princes' palaces, Raqqada, Qasr al-Sahn, Qasr al Qaim, Architecture, entry into Chicane, Basilica Hall.

•**Asma Amara. Assistant Professor. Department of History. Faculty of Letters and Humanities, Sousse. University of Sousse. Member of the laboratory of the "Medieval Arab- Islamic World".** amara.asma@yahoo.fr

المنارة للاستشارات

www.